على آخر معزوفة للهيام

" قصة قصيرة"

بقلم الكاتبتين:
"محلعين بثينة"
"سليماني شيراز قطر الندى"

"لا خير في حياة يحياها المرء بغير قلب، ولا خير في قلب يخفق بغير حب"

غارقة في بحر أحزانها داخلها أمواج تتراطم يمينا وشمالا، مشت من دون هدف لا تعلم إلى أين ستذهب،جلست على أقرب كرسي رأته في تلك الحديقة،وسط كل تلك الضوضاء كان لا يسمع سوى صوت دقات قلبها التي تتسارع نبضاته،لو سمعته لظننت أنه يوشك على التوقف، لكن هي نار مشتعلة بداخلها حرقت كل شيء فيها، إنها تحترق شوقا لأيامٍ مضت.. لأشخاص مضوا.. أو بالأحرى لذكريات الماضي..

رأته من بعيد، حاولت الهروب من واقعها بالرغم من إشتياقها إليه، لكنها فضلت البقاء بعيدة و عدم المواجهة،راحت تكمل طريقها بعيدة عنه لكن فجأة إنصدمت حين إرتطمت به و الذي لحق بها وهو الآن واقف أمامها،نعم إصطدم بها واقعها الذي كانت تهرب منه.. واقف أمامها ينظر لعينيها الذابلتين من شدة البكاء.. لروحها المنهارة من شدة الألم.. ولقلبها المنكسر..

مسحت دموعها بكل كبرياء،وحاولت الوقوف أمامه لكن لم تحملها رجلاها، وقفت بتوتر و ضمت يديها تحت صدرها، تنهدت بعد إغلاق عينها، رفعت رأسها تنظر في عينيه، شردت في ملامحه التي لطالما إشتاقت لرؤيتهما و أيقضها من شرودها قائلا لها:

مرحبا يا لين.

ردت عليه:أهلا يا أمين

أمين:كيف حالك؟

لين: لست بخير

أمين: ما بك هل أنت مريضة؟؟

لين: نعم كثيرا،لكن مرضي غريب لم يجد له الأطباء العلاج

أمين: طهورا إن شاء الله،أتعلمين أنني أحزن كثيرا؟!

لين: من ماذا تحزن؟

أمين: أحزن لحزنك كثيرا، يتملكني الخوف والرهبة والألم حينما أراكِ تتألمين هكذا.وأكمل قائلا:هل تتذكرين يا لين؟

لين: ماذا أتذكر؟أجب لما أنت صامت؟

أمين: أول يوما لنا كان في تلك الحافلة عندما جلست أمامك، بعدها ركبت معنا تلك العجوز، ثم قُلت لها إجلسي مكاني لأن كل الأماكن محجوزة؟؟!

لين: نعم أتذكره بكل تفاصيله كان أجمل يوم في حياتي يوم رأيتك حينها.

أمين: آآآهٍ يا لين عندما ظنت العجوز أننا إخوة و قالت لي إجلس أمام أختك ولا تدعها لوحدها، هل حقا نحن متشابهان لهذه الدرجة؟هل نحن توأم روحيٌّ؟

لين: ربما أرواحنا تتشابه لحد التطابق.

أمين: و كم عانينا من التضادّ في كل شيء.

لين: حقا عانينا لأننا متطابقان لكن لا أحد يعلم سر هذا التطابق غيري وغيرك،إنه التطابق الروحي، تطابق قلب لقلب آخر وروح لروح أخرى أنت توأم روحي وأنا نصفك الآخر.

أمين: لكننا القطبان المتعاكسان في آلامنا ننجدب عندما نتألم و قطبان سالبان في نقاشاتنا، نتنافر على أتفه شيء.

لين: ربما القدر لا يريد لَمَّ شملنا، ربما حسد الناس وغيرتهم على أننا متشابهان وتوأمان جعل أرواحنا تبتعد وجعل قلبينا يتنافران.

أمين: ذكرياتنا يا لين.

لين: آلامنا يا أمين.

أمين: الآلام ليست مبررات.

لين: لكن نياط قلبي أوشك على الإنقطاع من شدة الألم.

أمين: أَلمْ نُرَمِّم تلك الجراح معا؟؟

لين: لا ليس بعد، ألم تتذكر أنك ذهبت وتركتني وحدي في وقت كنت بحاجة ماسة لك؟؟!

أمين:لا هذا ليس صحيحا، كنت دائما هنا أنت من لم تَرَيْنِي، بينما أنا أحاول مواساتَكِ تقولين لي أنكِ لستِ بحاجة إليّ، برَأْيِكِ هل هذا عدل؟؟

لين: لا أريد شفقة أحد، الأقدار لا تريدنا أنا نكون روحا واحدة، فكيف لي أن أقبل مواساتك ونحن قطبان متعاكسان كما كنت تقول.

أمين: لسنا كذلك، نتخالف و يعجبني عنادك في التشبث برأيك، صحيح أخالفك الرأي لكن أتعلم منك الكثير، بعض الأشياء تكون لها نظريات حسب الناظر إليها، و هكذا نحن، أنت لديك رأيك حول شيء ما و أنا أيضا لي رأيي... لكن أعجز على تغيير رأيك و أستمتع لمناقشتك.

لين: حتى أنا أحب النقاش معك فأتعمد العناد كي تبدي أنت أرائك حول الموضوع لأنني وببساطة أحب الحديث معك ولا أتعب من التكلم عنك في خيالي وحتى أحلامي.

أمين: كم أرهقني فراقك،حقا دمرني وبعثر شتاتي.

لين: وأنا أيضا تعبت من كل هذه المسافة التي أقطعها كل يوم شوقا لرؤيتك وفي النهاية ينقطع بي الحبل منتصف الطريق وأقع مرة أخرى حبيسة أحزاني.

أمين: و ماذا عني أنا قد أُنْهِكت حقا من رؤيتك كل يوم تتلاشي من بين يداي.

لين:أ صحيح ما تقول؟؟

أمين: نعم، ألا تعلمين يا لين؟

لين: ماذا ؟؟

أمين: أن قلبي يتقطع ألف مرة لرؤيتك أمام ذلك المستشفى، أعود منكسر، منهك، كأنني عصفور في قفص لا أستطيع الإقتراب حتى لكي أتفقد وضعك.

لين: أنا أيضا أنهكت من كل تلك الأجهزة التي أوضع بها يوميا ومن تلك الإبرة التي توخز يدي كل يوم ومن السرير ومن نفسي، حتى الأطباء لم يجدوا علاجا لي لم يعلموا أنك أنت هو دوائي وترياق شبابي وكل حياتي أنت فقط شفائي لا أحد غيرك.

أمين: إذا لماذا فقدنا طريقنا؟ هل حقا ضعنا في المتاهة و تخالفت طرقنا؟

لبن: نعم حقا ضعنا ولا أحد يعرف طريق العودة سوانا، أنا ضعت في المستشفيات وبين الآلات وأنت ضعت في الأحزان وبين كل تلك الآلام.

أمين: آلامي لا حجم لها أمام معاناتك، حاولت الإقتراب لأكون دواءً لكِ، لكن للأسف لم أستطع.

لين: لماذا؟

أمين: كان حاجز الكرامة بيننا، فسامحيني فأنا لست لكِ و أنتِ لستِ لي.

لين: أ هذا آخر مالديك؟

أمين: أعتذر.

لين: لو كان حبك حقيقيا لَمَا قلت لي هذا،ولَمَا تركتني في أصعب أيامي،أتألم وحدي.

أمين: تركلكِ كترك جرح ينزف حتى الموت.

لين: ولماذا إذا أنت ذاهب بهذه السرعة ، لما إخترت الفراق على البقاء معي، لما إخترت الألم والأحزان ألم تقل أنه يؤلمك رؤيتي حزينة،أجب لماذا؟

أمين: ظننت أنني عندما أتركك سترتاحي ، آآآآه كم أنا غبي ماذا فعلت بحالي وبك أنت، سامحيني أرجوك.

لين: سأسامحك شرط أن لا تتركني مرة أخرى، لا تجعل الحزن ينهش من قلبي ولا تترك الآلام تخيم عليه.

أمين: سأكون ظلك و وعدك يا لبن، سأكون قطرات الودق التي تعاونت لسقي حديقة أزهرت من جديد، سأكون كل شيء بالنسبة لكِ ولن أخلف بعهدي إليك.

لين: وأنا أيضا سأكون سندك وقوتك وأمانك، سأكون الروح التي تسكن جسدك، سأكون القلب الذي يدق لعيشك سأكون كل شيء ولن أتركك مجددا مهما حدث أعدك بهذا

أمين: قلبي فُتِح لكِ و أُغلق الآن نهائيا فوجودك فيه كافٍ و لا يحتاج لكافٍ آخر.

لين: أحبك كثيرا، أرجوك لا تتركني بعد اليوم لا تفلت روحي.

أمين: معك للأبد، فنحن خُلقنا لبعضنا و مهما إنعكست طرقنا ندور و يرجع القلب لتوأمه و روحه.

لين: معك للأبد وللنهاية

أمين: إسمك ختم على قلبي و عقلي، لقد ملكت روحي.

لين: وأنت ملكت فؤادي وكل حياتي.

أمين: إذا لنحذف القلب المكسور و تلك الدمعة و نضع قلبا أصلحناه بدموع الضحك.

لين: حسنا إذا فلتكن هذه آخر غيمة حزن تحوم في سماء حبنا.

أمين: و آخر زهرة ذابلة.

لين: نعم ستكون آخر دمعة ألم .

أمين: هيامي لكِ أمل لنا و ليس بألم.

لين: لكنني لا أستطيع أن أكمل معك في هذه الطريق.. أعذرني لكن لا أقدر.

أمين: بسبب مرضك، أصحيح؟، لا تقلقي فأنا معك سنهزم هذا الورم اللعين مع بعضنا و سنفوز بهذه الحرب التي لطالما إنتظرنا الإنتصار و صبرنا على الفراق 7 سنوات.

لين: ليس فقط المرض، أنا لم أعد قادرة على أن أحبك من جديد، لم أعد قادرة على ألم الفراق، يكفيني ألم مرضي، هيا إذهب في طريقك ولا تلتفت خلفك أبدا لأنني لن أعود.

أمين: لا أريد خسارتك من جديد، لن أخسرك، لن أتخلى عنك، لقد حاربت من أجل حبنا، لا لا لن أستطيع العيش بهذا الألم من جديد.

وضعت يدها على كتفه وقالت:

أمين أشعر بدوار في رأسي،لا أستطيع الوقوف أكثر.

أمين: ما بكِ يا لين؟! تعالي نجلس هنا، سأجلب لك الماء.

جلست و فور ذهابه لإحضار الماء لها، سقطت أرضا و فقدت الوعي، وهو عائد إليها لمحها واقعة أرضا من بعيد، أسرع إليها بكل خوف قائلا لها:

لين، إستيقظي يا لين هيا إستيقظي.

صرخ بأعلى صوته لين والدموع تنسابُ من عينيه، أرجوكِ لا تذهبي، لقد وعدتني أن نكون روحا واحدة، لقد قلتي لي أننا سنحارب الألم معا، لماذا تركتني وحيدا أتأوه في أحزاني، هيا إنهضي لا تمزحي معي هكذا، أرجوكِ لا تذهبي، أنا لا شيء من دونك، ياروحا سكنت فؤادي لا تذهبي، وتأخذي روحي وقلبي معك،أجيبيني هيا؟!

حملها ووضعها في السيارة، توجه بها إلى أقرب مستشفى في المنطة و فور وصوله أدخلها، وذهب بها الأطباء لتشخيص حالتها، أخبرهم بمرضها و أجروا لها بعض التحاليل، والفحوصات،بعد تشخيص حالتها تم نقلها لغرفة العمليات على الفور و من حسن الحظ جاء متبرع و كان مناسب لها، طمأن الطبيب أمين عليها وسمح له برؤيتها قبل العملية،مسح دموعه ودخل إليها ضاحكا،مسك يديها قائلا لها:أنا هنا أنتظرك، بعد خضوعك للعملية ستخرجين سالمة معافاة إن شاء الله، أنت قوية و أنا معك لا تخافي، هل اتفقنا؟!!

لين: حسنا، عدني أن نعود كما كنا بعد خروجي من هنا.

أمين: هذا وعدي لكِ من أول يوم لنا.

دخلت إلى غرفة العمليات و هما على أمل بتعافيها و تحقيق أحلامهما التي لطالما حاربا من أجلها،دخلت لين غرفة العمليات لكنها لم تخرج،فُتح الباب ، هرول أمين إلى الطبيب كيف حالها أرجوك قل لي أنها بخير.

الطبيب: للأسف لم نستطع إنقاذها عظم الله أجرك.

أمين: كيف هل ماتت؟! لاااا كيف هذا لقد قلت لي أنها بخير قبل دخولها؟!

الطبيب: لقد حدث ما كنا لا نتوقعه،عظم الله أجرك وألهمك الصبر والسلوان.

أمين: لاااا هذا مستحيل و ماذا عن أحلامنا، آمالنا، بدأ بالصراخ لين أرجوك إستيقضي هيا يا لين أنا هنا أعدك أن لا أحزنك مرة أخرى، لن نفترق أبدا هيا عودي إلي، كيف تتركنني، هل إستسلمت بهذه السهولة، أنت قوية هيااااا يا لين أرجووك، بدأ الأطباء بتهدئته وطلبوا من الحراس إخراجه من المستشفى،وقف يمسح دموعه، يمشي و لا يعرف أين يذهب، صرخ صرخة ألم وحزن كبير،لييييين!!!

ظل واقفا بذهول أمام باب المستشفى ولم يعلم حتى ما يفعل أ يبكي أم يصمت، صدمة قوية أصابته، سقط أرضا والدموع

تنهمر من خديه لكن دون أي صراخ، نعم لقد شل كريم من بعدها ولم يعد قادرا على الحراك ولا حتى التكلم، كل ما يفعله هو البكاء طوال اليوم، كانت تنزل من عينيه دموع كادت تشق وجهه شقا وآخر خبر من عائلته أنه مات هو أيضا، نعم مات ألما وإحتراقا على فقدانه حبيبته، لم يستطع الابتعاد عنها أكثر فقرر أن يلحق بها.. مات قهرا وشوقا وألما وحزنا.. على روح فقدها.. على قلب أحبه لا بل عشقه وأدمنه وأصبحت روحا تسري في جسده.. تسري في شريانه.. حبهما كان حقيقيا للغاية لم يكن أحد ليملك جرأة هذا الحب.. أظن أنه لا يوجد أحد يحب بهذه الطريقة المجنونة والغريبة.. غيرهما طبعا.. لكن المرض فرق بينهما وليس كثيرا فقد لحقها ولم يشأ تركها حتى عند موتها قرر اللاحاق بها لكي لا تبقى وحيدة..

"عشقك كسكرات الموت، يدبّ في أوصالي فتختنقُ أنفاسي، وتتمزّق روحي، ويتركُني ما بين الموت والحياة فاقدا لإحساسِي "

« آخر ما كتبه أمين»